الرؤية الخلاصية بين الوحدة و التعدد في الأديان السماوية

The salvation vision between unity and pluralism in the heavenly religions

بن أحمد إيمان

جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان-

الملخص باللغة العربية :

إن عقيدة انتظار المخلص نجد أنها احتلت الصدارة الكبيرة في الأديان السماوية و التي تؤكد على انتظار المنقذ ، المخلص أو المهدي الذي سيحرر شعوب العالم من الظلم و الإظطهاد متجها بهم نحو عالم السلام الدائم و العدالة الخالصة التي يطمح إليها كل إنسان ، و عليه يمكن القول إننا إزاء قضية كبرى واضب العقل الإنساني على طرحها و استمرايتها عبر قرون و فترات زمنية متواصلة ، مما أدى إلى تداخل الكثير من العوامل و التجارب المعرفية في صنع شخصية مستقبلية حضورية مخلصة للبشرية .

ملخص باللغة الأجنبية :

The doctrine of waiting for the Redeemer is that it occupies the great place in the heavenly religions, which affirms the waiting of the savior, the Savior or the Mahdi, who will liberate the peoples of the world from injustice and oppression towards the world of lasting peace and the pure justice that every human aspires to. In the face of a major issue and the human mind to put forward and continued through centuries and periods of time, which led to the overlap of many factors and cognitive experiences in the making of a future personality and a sincere presence of humanity.

مقدمة :

من بين أهم العقائد التي تشترك فيها الأمم و الأديان هي عقيدة الإيمان بالإنتظار ، التي لجأت إليها الشعوب جراء الظلم و المعاناة التي عاشتها ، مما أدى إلى القول أنها أصبحت ملجأ تنفس المظطهدين.

مما أدى إلى تطلع هذه الشعوب إلى ظهور المخلص المنقذ الذي بإمكانه أن يعيد للبشرية أمجادها و يرجعها إلى الطريق الصواب و الهداية.

و من ثمة يتوضح لنا أنها عقيدة منبعها و مصدرها الوحيد هو الفطرة الإنسانية التي تهدف إلى الكمال من خلال سعيها ان تكون للإنسان دولة عدل و سلام ، خالية من الاستبداد و الجور مما يؤهلها على أن تكون العدالة و الخير تاج البشرية ، هذا ما جسدته الأديان السماوية و الوضعية و المدارس الفكرية التي تؤمن بظهور المصلح العالمي ومن هنا يمكننا أن نمهد لطرح الإشكال التالي :

فإلى أي حد أثرت الشخصية المخلصة على الأديان السماوية الإبراهيمية ؟ .

- المهدوية في الأديان السماوية وعلاقاتها بالثقافات المعاصرة :

لا تكاد تخلوا مرحلة من مراحل تاريخ البشرية إلا و أدركت معنى الخلاص و حددت مميزات المخلص المنتظر ، ذلك لأن هذا المفهوم ارتبط بالظروف و المعوقات محيطة بالإنسان و التي تشكل حاجزا وراء بلوغه و نيله الهدف المنشود في تحقيق السعادة التي يطمح إلى تحقيقها.

و عليه فانه من بين القضايا التي تشغل التفكير اليهودي هو قضية الإيمان و الاعتقاد بمجيء المسيا المخلص المنقذ أو الماشيح في آخر الزمان ليترأس العهد الجديد و القديم و بالتالي و

هـذا مـا يلقـب بالعصـر المشـيحاني الـذي هـو رمـز للسـلام و الكمـال حيـث يترقـب فيـه الخـلاص للبشرية كلها من اجل تغيير مسار حياتهم.[1]

و عليـه فـان كلمـة الماشـيح التي تعني المسـيح المخلـص و منهـا اشـتقت المشـيحوت و الماشـيحانية كتعبير على أن الـروح الإلهيـة أصـبحت تحـل و تسـري فـيهم هـذا مـا مكـن الشـعب اليهـودي بتلقيـب نفسه على أنهم شعب من المشحاء.

و قد تطرق دريدا إلى مصطلح الماشيح من خلال توظيفه ثلاثة مصطلحات مشتقة من جذع لغوي واحد و هي :

Messianisme , Messianicité, و التي تقابلها بالترتيب المشياحية ، المشيحاني و المشيحانية و هي Messianic

كلها معاني تدل على ترقب الماشيح المخلص .

ف Messianisme هي كلمة التي ترجع في أصولها إلى الكلمة العبرية

Messiah و Mâshiakh و التي ترجمت الى اللغة اليونانية cristos : و التي تعني المسيح المنقذ[2]

الـذي سـيظهر في نهايـة الـزمن ، و هـذه الأخيرة نجـدها مشـتقة مـن العبريـة مـن مفـرد مشـح أي مسـح بالزيت المقدس و قد و ظفها دريدا بعد إفراغها و تجريدها من مضمونها الديني .

و مـن ثمـة يتوضـح لنـا أنـه قـد اسـتعملت كلمـة Messiah في أول أمرهـا مـن قبـل الكهنـة و الملـوك و الأشـخاص ذوي المهمـات الإلهيـة ، مـن خـلال أن اليهـود كـانوا يمسـحون رؤوس هـؤلاء بالزيـت

المقـدس على غـرار الثقافـات السـابقة قبـل تنصـيبهم مـن اجـل نيـل مباركـة و تثبيـت المكانـة التي يتنبؤوها.[3]

و مـن ثمـة فالمشـيحانية هـي الإيمـان بمجيء الماشـيح المترقـب المخلـص الـذي يحكـم بالإنصـاف و قيامة دولة العدل .

و بالتالي فان العصر المشيحاني سيقتحم مسرح الحياة بنحو فجائي في أي وقت و في أي لحضة و ستعطي الطبيعة مكانها للنظام الإلهي، و بالتالي ستسخر طبيعة للخدمة الإلهية هذا ما يقودنا إلى القول بتلاشي آلام المخاض العصر المشيحاني التي سيتبعها السلام و الخلاص و التحرر.

و في هذا الشأن يشير ليفيناس أننا في أمس الحاجة إلى توجيه حياتنا من خلال الإيمان بالآخرة في حد ذاتها و ذلك يتم من خلال التعاطف و الاهتمام بالآخرين لنيل الأخروية الخلاصية ، و التي تعني العيش في كل لحظة من الحياة مع التعاطف و الإهتمام بالآخرين ، فالآخر يمثل السبيل لنيل الخلاص ، و هو الذي يمكن قول عنه أنه الذي لا يوجد في عالمي و لا ينتمي إليه ن هو ليس أنا أخرى ، أي ليس حضورا بل غياب مطلق هذا ما عبر عنه بقوله: " الآخر بما هو آخر ، هو الآخر الإنساني ".

فغياب الآخر المطلق هو غياب أثره في الوجه الماورائي الذي لم يحضر أبدا ، و لا يمكننا إدراكه و اللحاق به ، و هو ما يسميه بالله قائلا في ذلك : " الله الذي مضى ليس النموذج الذي يكون الوجه على صورته ، لا يعني الكون على صورة الله الكون كأيقونة لله ، و إنما الخروج في أثره " .

و بالتالي فالخروج في أثره لا يعني التوجه غليه و إنما يجب الإلتفات إلى الآخر حيث يتجلى أثر الغائب ، الذي لم يكن يوما حاضر ماضيه ، فهو سابق عن كل أصل و بداية و الذي يعد القاعدة الأساسية لكل

وصية أخلاقية باعتباره وعد للمستقبل المفتوح ، فالأخر الإنساني ليس تجسيدا لله ن لكنه ظهور للعلو و حضوره حيث تتجلى الإرادة الإلهية.[4]

و من هذا كله يمكن القول أن فكرة المسيحانية كان منطلقها الصراعات و التوترات التي كانت موجودة في عناصرها المتعارضة هذا ما أدى إلى الاحتفاظ بحيويتها و نشاطها ذلك لأنها ناتجة عن آلام المخاض الذي تتبعه الولادة المباركة للمخلص و بعد تحقق الولادة تتلاشى هذه الآلام و يعم السلام مما ستصبح ديانة اليهودية هي ديانة استقطاب بالدرجة الأولى .[5]

و بالتالي فالشخصية ثابتة رغم بدائلها متشابكة هي شخصية التي حددتها الحوادث و الظروف التاريخية و الشخصيات الفردية لمدعي المسيح المنتظر المخلص، حيث ظهر عدد كبير من مسحاء المنتظرين الذين لقبوا أنفسهم باللقب المسيحاني مما حقق لهم شعبية كبيرة استطاعوا من خلالها جذب عدد كبير من الأتباع لهم.[6]

و قد ضمت أيضا الديانة اليهودية العديد من الفرق و المذاهب و التي تطرقت إلى عقيدة الانتظار و من بين الفرق المهمة لدى اليهود نجد السامريون و هو يلقبون بحراس الديانة اليهودية و هو يؤمنون بالتوراة دون التلموذ و بفكرة مجيء الماشيح المخلص.

أما بالنسبة للقراءون التي تعد من أهم الفرق التي ولدت تأثيرا في الفكر اليهودي وهم يؤمنون بفكرة المخلص ذلك لان الله لا يحتقر باقي الشعوب بل هو يسعى لتطهيرهم من خلال شخصية الماشيح المنقذ.

أما الفريسيون أو كما يلقبون المعتزلون الذين عزلوا أنفسهم عن الناس و هم يؤمنون إيمانا جذريا بعودة الماشيح الذي سيقود بني اسرائيل لجعلها سادة العالم ضد باقي الأمم الأخرى.

و الصدوقيون الذين يشكلون الطبقة الارستقراطية اليهودية في المجتمع التي لم تؤكد على فكرة بروز الماشيح و لكنها لم تعول عليها كثيرا و لا يفوتنا ذكر فرقة الحسيديون " الأتقياء" و التي تؤكد على تعدد شخصيات الماشيحانية فهي ليست منحصرة في شخص واحد بل هناك عدد كبير من المخلصين وهم يتعاقبون عبر الأزمنة و الأمكنة و الظروف المتاحة لتخليص اليهود.[7]

إن شخصية الماشيح من أهم الشخصيات الناذرة و المهمة في تاريخ الفكر الإنساني نظرا لما تضمنته من مواقف و أحداث هذا ما مكن البعض من ادعاء شخصية منقذة و مكملة للسيرة الخلاصية .

و من بين أهم الحركات المشيحانية عبر التاريخ التي عرفت مجموعة من حكماء مشحاء نجد :

- الأصفهانية أو العيسوية : نسبة إلى أبي عيسى اسحاق بن يعقوب الأصفهاني و هي فرقة يهودية فارسية ظهرت في القرن الثامن تزعم ا نابا عيسى الأصفهاني هو نفسه الماشيح المرتقب الذي سيحرر اليهود و يأتي لهم بالخلاص.

و مما هو وارد عنه انه لم يقل عن نفسه انه الماسيا نفسه و إنما هو المبشر به ، و يعد من أول معادين للمؤسسات الحاخامية هذا ما جعله يدخل بعض التعديلات و تصليحات على الشعائر من بينها انه جعل الصلوات سبعا بدلا من ثلاث و منع طلاق ...و بالتالي فقد كان مخالفا لليهود في كثير من أحكام الشريعة المذكورة في التوراة.[8]

- اليودغانية أو البودغانية : و هي فرقة يهودية أيضا ظهرت نصف اول من القرن الثامن تؤكد ان يودغان الأصفهاني أو الهمداني هو نفسه الماشيح .

و ما ورد أيضا عن هذه الفرقة أن كلمة يودغان هي صيغة فارسية لكلمة يهودا ، هذا التشبيه هو ما أهله لان يدعي النبوة و انه المنقذ الذي سيخلصهم هذا ما سمح له بتسريح بعض الأفكار و المعتقدات التي يرى فيها أن للتوراة ظاهرا و باطنا ، تنزيلا و تأويلا ، كما اثبت أيضا أن الفعل حقيقة للعبد و مال إلى القدر و الزهد وإكثار من الصلاة .

- النحمانيون : ظهرت في القرن الثاني عشر ترى بان داود بن سليمان هو الماشيح نفسه ، ذلك لأن النحمانيون سميت نسبة إلى داود بن سليمان ، ويدعى أيضا داود الرائي أو الروحي و سمى هو نفسه مناحم أي المواسي و هو احد الألقاب التي لقب بها الماشيح.

- الرؤوبينية : نسبة إلى عقيد رؤبيني و هو ذو تطلعات مشيحانية في القرن السادس عشر اذ كان يرى أن مهامه تمهيد للعصر المشيحاني و لعودة الماشيح ، مما يدفعنا للقول الى اعتباره قائد أولى للحركات ذات الطابع المشيحاني حيث اقتصر عمله على تقديم برنامج عملي سياسي واقعي.[9]

- الشبتانية ، نسبة إلى شبتاي تسفي الذي زعم انه الماشيح و مخلص بني اسرائيل الموعود المنتظر ، و نطق باسمه يهوه حتى أعلن بطلان سائر النواميس و الشريعة المكتوبة و الشفوية ، حتى انه ذهب إلى ابعد من ذلك مؤكدا مشيحانية من خلال أن تزف التوراة إليه فهي عروس الإله ، و قد لقب نفسه بملك الملوك و جعل لنفسه دعاء خاص من اجل توسيع شهرته ، و الحركة الشبتانية أطلقت على الحركة الدينية المشيحانية الباطنية الغنوصية اليهودية في الغرب و أطراف الدولة العثمانية و هذا في القرن السابع عشر .[10]

- الدونمة : و هي في أصلها كلمة تركية تعني المرتدين و نجدها مركبة من "دو" أي اثنين و "نمة أو منة " بمعنى النوع : أي الفرقة القائمة على نوعين من الأصول : النوع اليهودي و النوع الإسلامي.

و من بين أهم عقائد دونمة غنوصية المتطرفة أنها تأمن بألوهية شبتاي صبي على انه المسيح المنقذ و المخلص الذي أبطل الوصايا العشر و التوراة التي اعتبرها فارغة المعنى و استبدالها بتوراة التجليات .

- الفرانكية : سميت هذه الحركة نسبة إلى جيكوب فرانك الذي قام بالإعلان انه الماشيح من خلال توصلهم أن التجربة الدينية الحقة تتوضح من خلال تجسيدها في الممارسة الجنسية و أن العالم لم يصل إلى الخلاص إلا من خلال اكتمال الثالوث الجديد السابق ، و انه لابد ان يظهر الماشيح ليكمل الطريق و تظهر العذراء معه كتجسيد للعنصر الأنثوي الذي يؤدي إلى غياب الخطيئة المقدسة الكبرى و الجدير بالذكر أيضا أن الحركات المشيحانية لم تكن مقتصرة على هذا الحد بل ارتبطت دائما كما هو متعارف عليه بالتصوف الحلولي و التراث القبالي الذي كان منطلقه رؤية كونية تلغي كل الفوارق و الحدود التاريخية بين الأشياء.[11]

هذا ما أدى إلى ظهور الصهيونية التي تعد وريثة التراث القبالي في البنية و التي تسعى إلى إعادة بناء الهيكل تحضيرا لظهور الماشيح من اجل نيل الخلاص للشعب اليهودي و بالتالي فالفكر الصهيوني فكر قومي يهدف إلى حجب ستار نواياه من خلال فكرة المنقذ الموعود.

و على هذا الأساس يمكن القول أن الخلاص المشيحاني اسقط من أي سياق تاريخي مباشر فالمسيح أصبح يعتبر الآن كإمبراطور أو كملك سينقذ اسرائيل و سيحكمها في قمة التاريخ البشري و بالتالي فهو مفتاح التي تؤسس للمملكة الإلهية العادلة على الأرض في اخر الأيام مما يجعله يحقق السيادة الفيزيقية و الروحية معا على حد سواء

و من هذا المنطلق فان المسيح في الديانة اليهودية هو مجرد أداة أو وسيلة إلهية لتحقيق الحكمة الإلهية على وجه الأرض الذي من خلاله سيتم نشر التقدم العلمي و الحضاري.[12]

و منه يمكن القول أن قضية المنقذ المنتظر تعد من أهم القضايا التي تشغل الفكر اليهودي و قد تحدث و تطرق إليها العديد من الأنبياء و المنقذين من اجل تطهير العالم و خلاصه و سيادة العدل.

فالتفكير الديني هو وحده الذي يمكننا من تأويل الحياة و تجاوز العالم ، انه الوحدة الذي يمكن من خلاله استعاب و اكتساب الخبرة التي يعتقد على وجه التحديد أنها تتجاوز التفكير.

و عليه فان الفكرة الدينية المسيحانية هي فكرة غيبية تقوم على أساس اعتقاد بانتظار المسيا المنقذ من اجل تحقيق و ظيفته السياسية و القيام بها و هي تحقيق الخلاص القومي لشعبه ، ثم تبعتها و اظيفت لها و ظيفة دينية التي تمكن المخلص من تحقيق الخلاص الديني لامته و بواسطة المزج و اتحاد بين و ظيفتين نشأت فكرة إقامة مدينة الله سماوية كتعويض للملكة ترابية أرضية المليئة بالاضطهاد.[13]

عليه وقد شكلت فكرة المخلص التي لا تخلوا ديانة تقريبا من وجودها انتشارا واسعا فأصبحت رمزا مجسدا مستقطبا لروح و طموح البشر و أحلاهم في انعتاق و بلوغ السعادة ، و بين كونها مسارا أو مسلكا تربويا أخلاقيا يؤدي في نهاية المطاف إلى بلوغ السعادة و تحقيق الرفاهية و هذا ما تطرقت إليه الديانة المسيحية التي تتميز بإدخال السعادة بعد الموت من خلال توجهها في خطاباتها إلى الإنسان و تبشيرها بالمخلص و هذا ما يوضحه الإنجيل في أصل تسميته التي ترادف لفظ الحلوان و هي تعني باليونانية ما تعطيه لمن أتاك بالبشرى ، ثم أريد منه البشرى عينها و قد تناولها بمعنى بشرى الخلاص[14].

و يشير هنا الطهطاوي في هذا الصدد من خلال كتابه النصرانية و الإسلام إلى أن المسيح هو إنسان خلق من اللاهوت كواحد منا في جوهره وهو أن ابتداء الإبن من مريم ، و أنه اصطفى ليكون مخلصا للجوهري الإنسي بصحبة النعمة الإلهية التي حلت و تجسدت فيه بالمحبة و المشيئة و على هذا الأساس لقب بابن الإنسان.[15]

فابن الإنسان في تراث المسيحي نجده قد حل محل الله الدنيوية الأخيرة من خلال أن كل صلاحيات الله منحت و سخرت له حتى تنفيذ القضاء فيكون هو صاحبه و متوليه بمعزل عن الله فكل شيء مسخر له و هبة إلهية .

و منه فعودة و رجوع المسيح سيتجلى بنوره و مجده الإلهي أمام العالم أجمع ذلك لأن : " عند مجيئه تتزعزع الخليقة كلها و سيدل مجيئه على انتهاء الزمن القديم حيث بقي مجد الله محتجبا عن الأنظار كما يظهر مجيئه بداية الزمن الجديد حيث يملأ الله بجسده الخليقة كلها و لذلك سمي هذا اليوم الأخير يوم المسيح أي يوم مجيء الرب وحضوره".

فحضور ابن الإنسان إذن هو نفسه حضور للإله و تجليه فيه و غيابه يعني غياب الصورة الإلهية ، فالزمن الأبدي هو الزمن الخلاصي للمسيح.

و يؤمنون بأن المسيح هو المنقذ و المخلص المنتظر و هذا ما تبرزه النصوص الدينية بشكل واضح من خلال وجود المخلص الذي يبشر بخلاص الإنسان، و هذا ما جاء في الإنجيل متى على لسان اليسوع " طوبي للمساكين بالروح ، لأنهم لهم ملكوت السموات ، طوبي للحزانى، لأنهم يتعزون ، طوبي للودعاء ، لأنهم يرثون الأرض، طوبي للجياع و العطاشى إلى البر، لأنهم يشبعون".[16]

و في نفس الإنجيل : " انظروا لا ترتاعوا لأنه لابد أن تكون هذه كلها ، و لكن ليس المنتهى بعد ، لأنه تقوم أمة ، على أمة و مملكة ، على مملكة و تكون مجاعات و أوبئة و زلزال في المساكن ، و لكن هذه كلها مبتدأ الأوجاع ، و حينئذ يسلمونكم الى ضيق و يقتلونكم و تكونون مبغضين من جميع الأمم لأجل اسمي.....و لكن الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص و يكرز بشارة الملكوت".[17]

و من ثمة فالمسيح المخلص في نظر المسيحية يمثل ابن الله الأزلي ، فهو كالأب الأزلي الدائم أيضا و بالتالي فليس هناك اختلاف و فرق بينهما في الزمن .

فالأب و الابن واحد ، ذلك لان الأب هو وحده الذي يملك الألوهية قصوى من غير مصدر آخر ، و يمنحها كلها للابن المولود منه أزليا و للروح القدس.[18]

و هذا ما بينه محمد مجدي مرجان في كتابه الله واحد أم ثالوث مشيرا إلى قول القس توفيق جيد قائلا في ذلك : " أن عملية خلاص الإنسان التي هي قضية التاريخ الكبرى من بدء الزمان ، هذه العملية تفترض حاكما و قاضيا ، و تتطلب مخلصا و فاديا ، و تستلزم مقدسا و محييا. إنها تفترض حاكما و قاضيا أصدر حكمه بموت الإنسان الخاطئ و هلاكه . و من يكون ذلك الحاكم القاضي سوى الأقنوم الأول في اللاهوت .الله الأب . و تتطلب مخلصا و فاديا يرفع الحكم عن الإنسان الشقي . و من يكون ذلك المخلص الفادي سوى كائن الهي مثله ن ذلك الكائن هو الاقنوم الثاني في اللاهوت الله الابن . ثم ان عملية الخلاص تستلزم مقدسا يخلق من الإنسان الخاطئ إنسانا جديدا في البر و قداسة الحق . و مقدسا يعيد للإنسان الفاسد صورة القداسة المفقودة ن و من يكون ذلك المقدس المحيي سوى كائن الهي قادر على كل شيء هو الأقنوم الثالث في اللاهوت أي الروح القدس...".[19]

و منه يتوضح لنا أن الله قد بعث ابنه الوحيد لهذه الدنيا من اجل تكفير خطايا البشر ن فالجسد يمثل مركز ناموس الخطيئة و المخلص هو الفادي المكمل للمهمة الإلهية ومنه يمكن القول إلى تلاشي و زوال الجسد الحيواني و ثبوت الجسد الإنساني و يقول المسيح هنا : " ما جئت لأنقض بل لأكمل".

و بالتالي المغفرة هي السبيل الوحيد للتخلص من الخطيئة ولا يتم الخلاص منها مالم يقدم الإنسان جسده كذبيحة لله. بهذا كان المسيح هو المخلص و هو الفداء حيث زال الجسد الحيواني و ثبت الجسد الثاني الإنساني.

و هذا ما جاء في رسائل بولس قائلا : " حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد من الرب ، هكذا نسلك نحن أيضا في جدة الحياة. لان هان كان قد صرنا متحدين معه يشبه موته ، نصير أيضا بقيامته عالمين إن إنساننا العتيق قد صلب معه ليبطل جسد الخطيئة كي لا نعود نستبعد أيضا للخطيئة لان الذي مات قد تبرأ من الخطيئة فان كنا قد متنا مع المسيح نؤمن أننا سنحيا أيضا معه ".

و منه فان جسد المسيح الممنوح للبشر هو بذرة أو قمح للحياة الأبدية ، هذا ما ورد في نص انجيلي : " أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء إن أكل احد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد و الخبز الذي أنا أعطيه هو جسدي الذي ابذله من اجل حياة العالم " . إذن جسد المسيح يمثل ثمرة الخلاص الأخروي.[20]

فالإيمان بشخصية المسيح و تجسده هو الذي يمنح الخلاص للإنسان و يوحده مع المسيح الذي غاب من اجل الإنسان و قهر الموت لأجل خلاصه.

و مما سبق يمكن القول أن الأب و الإبن ذات واحدة ، ذلك لأن الأب هو الذي يملك الألوهية القصوى من غير أن يستمد مصدرها من أحد آخر و يعطيها و يمنحها كلها للابن المولود منه أزليا و للروح القدس .

و في هذا الشأن يتطرق محمد الناصر صديقي في كتابه فكرة المخلص إلى أن الإله الابن هو الكلمة - اللوغس المولود الوحيد للاله الأب و يصدر عنه منذ الأزل ، و منذ الأزل كان الروح القدس ينبثق منهما

معا و يغلق الدارة بينهما ، ثلاثة في واحد إله قديم غير مخلوق ن لم يظهر أقنوم من اقانيمه قبل ظهور الآخر ، و لم يمر وقت لم يكن فيه الثلاثة معا في واحد . دارة حب مغلقة مكتملة مكتفية ، فاض بها العطاء فأرادت إن تخلق لا عن حاجة إلى الخلق و إنما عن حرية مطلقة و هكذا و بأمر من الكلمة تم خلق أولى الكائنات المفارقة للطبيعة الإلهية و هو الملائكة ، مخلوقات نورانية أحاطت بالنور الأعظم .

و عليه يتبين لنا أن المسيح يمثل الوارث الوحيد للكلمة الإلهية ، بالايضافة إلى ذلك فان الكلمة هي كلمة اللوغس و هو يمثل مصدر الحياة و العيش و كل شيء نابع منه و يتفرع ، فهو السلطة العليا المطلقة التي مكن الله ابنه الوحيد و ملكه حق التصرف فيها .[21]

و من الواضح هنا أن فكرة المخلص" في الخطاب المسيحي لا تختلف كثيرا في الخطاب الإسلامي ، حيث نجد فكرة المهدي و المهدوية ، و التي حققت شهرة و نجاحا عظيما و هذا راجع كله الى نفس الإنسان التي تشتهي السعادة و العدل .

فكلمة المهدي هي في أصلها كلمة بسيطة و هي اسم مفعول من هدى يهدي ، بمعنى كل من هداه الله فهو مهدي ، و قد تم استعمالها بهذا المصطلح في أيام النبي صلى الله عليه و سلم ، فجاء بهذا المعنى في الحيث : " عليكم بسنتي و سنة الخلفاء الراشدين المهديين" ، ثم تطورت هذه الفكرة عبر الأزمنة و أصبحت تتوارث من جيل إلى جيل.

و قد ارتبطت هذه الكلمة أيضا بالتراث الشيعي ، و لكن أضيفت لكلمة "المهدي" كلمة أخرى هي " المنتظر" ، مما أصبح لزاما القول بالمهدي المنتظر الذي سوف يغير مجرى الحياة للأحسن في المستقبل من خلال إزالة الطغيان و تحقيق العدالة .[22]

و هذا ما أشارت إليه أهم الفرق من بينها الإسماعيلية و الاثني عشرية ، فالأولى نجدها تنسب إلى جعفر الصادق الملقب بالمهدي المنتظر و يشير في هذا الشأن قائلا : " أنا من نور الله نطقت على لسان عيسى بن مريم في المهد ، و شيئت نوح وسام و ابراهيم و اسماعيل و موسى و يوشع و عيسى و شمعون و محمد كلنا واحد من رآنا فقد رءهم ، نحن أبواب الله و حججه وأمناؤه على خلقه و خلفاؤه و أئمة دينه ، و أمر و صراطه ".[23]

إلى جانب مبادئ الإسماعيلية نجد الاثناعشرية : و هو الملقبون بالجعفرية نسبة إلى جعفر الصادق و سموا اثناعشرية لقولهم باثناعشر إماما و هم يمثلون أغلبية الشيعة و هم يتبنون فكرة تأكيد بخلافة علي رضي الله عنه و رجعته و من أهم عقائدهم نجد : الإمامة : حيث يمثل هذا العنصر بالنسبة لهم أعظم أركان الإسلام فهي بمثابة المنصب الإلهي كنبوة ، و يعد الإمام عندهم بأنه مؤيد المعجزات و يوحى إليه فهو وحده المعصوم بصفة مطلقة من الأخطاء بحيث يقولون : " و يعلمون متى يموتون و لا يموتون الا باختيار منهم ". فهم وحدهم من بإمكانهم تحديد مصيرهم.

و يرى هنري كوربان في هذا السياق ان الحديث عن الامام ثاني عشر هو حديث متواصل على مر التاريخ لم ينتهي ، فهو مستمر من غيبته الصغرى إلى غيبته الكبرى.

وتمثل الإمامة المحمدية في جملتها خاتمة الولاية العامة ، فالإمام الثاني عشر هو في حد ذاته خاتم الولاية المحمدية ، وهذا ما ركز عليه التراث الشيعي باعتبار المهدي منتهى كل ولاية ، و لهذا يظل المستقبل مفتوحا في انتظار مجيء خاتم الأنبياء.

و عليه أن زمان الامام الغائب هو زمن بين الأزمان ، بحيث يشكل تاريخه وعي الآخرين و هو إنضاج هذا البين حتى تمام زمان الآخر يضع نهاية لذلك ينظر للمؤمن الذي تمكن من رؤيته بأنه هو أيضا بين الأزمان.

و من ثمة إن حضور الغائب للإمام هو حضور لم يتنجز و هو على وشك الحدوث على الدوام بمعنى الساعة التي اقترب موعد حدوثها و فرجه.[24]

و منه يمكن القول أن المهدي المنتظر نجده يمثل و في حقيقة الأمر تاريخ هذا الوعي الذي يحياه التشيع بصحبة الحضور الغائب للإمام الثاني عشر.

و لذلك فالتشيع عبر شخص الامام الثاني عشر يتوارى في داخله سر دفين متخفي و حاجب عن الأعين و هو ما يسمح بتتويج بنيان إلهياته و عرفانياته ، فالإمام الهادي رغم كونه مستترا عن الأبصار في هذا العالم الدنيوي ، إلا انه في الوقت نفسه حاضر في قلب شيعته و لدى نفسية كل شيعي .

و في هذا الصدد يؤكد منير الخباز في كتابه الحقيقة المهدوية إن غيبة الامام المنتظر ليست غيبة انعزالية و إنما هي غيبة اتصالية ، فهو ليس غائبا عن المجتمع بل العكس ذلك لأنه موجود بين الناس لكن لا يمكن معرفة عنوانه هذا ما يؤدي بنا إلى القول أن غيبته غيبة عنوان مفقود غائب ليس غيابه كشخص بذاته[25].

- خاتمة :

و من ثمة يتوضح لنا أن عقيدة انتظار المخلص نجد أن منبعها و مصدرها الوحيد هو الفطرة الإنسانية التي تهدف إلى الكمال من خلال سعيها أن تكون للإنسان دولة عدل و سلام ، خالية من الاستبداد و الجور مما يؤهلها على ان تكون العدالة و الخير تاج البشرية ، هذا ما جسدته الأديان السماوية و الوضعية و المدارس الفكرية التي تؤمن بظهور المصلح العالمي.

قائمة المصادر و المراجع :

1- الأسعد بن علي قيدارة – النظرية المهدوية في فلسفة التاريخ- مركز الأبحاث العقائدية-ص 31.

2- جاك دريدا- ايمان و معرفة ، منبعا "الدين في حدود العقل وحده" ، ترجمة حسن العمراني ضمن جاك دريدا و جياني قاتيموا ، الدين في عالمنا ترجمة محمد الهلالي و حسن العمراني، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1، 2004- ص 25-26.

3- محمد علي البار – المسيح المنتظر و تعاليم التلموذ – دار السعودية للنشر و التوزيع – ط1 – 1987 – ص 105.

4- إيمانويل ليفيناس – الزمان و الآخر – تر. جلال بدلة – معابر للنشر و التوزيع – ط1-2014-ص 19-20

5-فكري جواد- ملامح عقيدة الانتظار في الديانة اليهودية –مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية – العدد 18 – سنة 2012- ص 18.[1]

6- فكري جواد- ملامح عقيدة الانتظار في الديانة اليهودية – مرجع السابق – ص 19.

7-عبد الوهاب المسيري – اليهودية المفاهيم و الفرق-المجلد5 –ص 448

8-عبد الوهاب المسيري – اليهودية المفاهيم و الفرق-المجلد5 – المرجع السابق – ص 450

9- عبد الوهاب المسيري – اليهودية المفاهيم و الفرق-المجلد5 – المرجع السابق – ص 454-455

10-حسين عبد الحفيظ ابو الخير – الموسوعة المفصلة في الفرق و الأديان و الملل و المذاهب و الحركات القديمة و المعاصرة ج2-دار ابن الجوزي- بدط2011 –ص 337

11- أسماء سليمان السويلم – الفرق اليهودية المعاصرة – ص 140.

12- فكري جواد-ملامح عقيدة الانتظار في الديانة اليهودية – مرجع السابق ص .30

13- محمد الناصر صديقي – فكرة المخلص بحث في فكر المهدوي – جداول للنشر و التوزيع – ط1- 2012-ص 66.

14- الأسعد بن علي قيدارة، النظرية المهدوية في فلسفة التاريخ، مركز الأبحاث العقائدية ، ط1، 1433ه، ص 48.

15- محمد عزت الطهطاوي – النصرانية و الإسلام – مكتبة النور- بد ط – بد س- ص 189.

16- انجيل متى، الإصحاح : 5/1-6

17- انجيل متى : الإصحاح 4.

18-أحمد شلبي – مقارنة الأديان المسيحية- مكتبة النهضة المصرية – ط10 – 1998 – ص 56

19- محمد مجدي مرجان – الله واحد أم ثالوث – مكتبة النافذة – ط1 – بدس-1972 – ص 32

20- طارق خليل السعدي – مقارنة الأديان دراسة في عقائد و مصادر الأديان السماوية و الأديان الوضعية – دار العلوم العربية – ط1-2005 -

21- محمد ناصر الصديقي – فكرة المخلص بحث في فكر المهدوي –المرجع السابق – ص .95

22- أحمد أمين- المهدي و المهدوية – مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة – بد ط – 2012 – ص 8

23- مصطفى غالب – تاريخ الدعوة الإسماعيلية – دار الأندلس للطباعة و النشر – ط 3 – 1965– ص 26.

24- هنري كوربان – مشاهد روحية و فلسفية للإسلام في الإطار الإيراني الكتاب السابع الإمام الثاني عشر – دار الهدى – ط1- 2009 –ص 51.

25- منير الخباز – الحقيقة المهدوية –مركز الدراسات المتخصصة في الإمام المهدي –ط1-1431هـ –ص 59.